تخطيط وعمارة المدرسة المرجانية في بغداد

بنى هذه المدرسة امين الدين مرجان مولى السلطان الجلائري اويس خان حين كان واليا على بغداد , وكان بنائها سنة ( 758ه – 1356م ) وقد اوقف عليها اوقاف كثيرة لضمان الصرف على متطلباتها .

وكانت هذه المدرسة مربعة الشكل تقريبا مبتورة قليلا من ركنها الشمالي الشرقي , تتكون من صحن مربع الشكل في الجهة القبلية منه بيت الصلاة كبير ارتفاع سقفه بارتفاع طابقي البناء مزينة جدرانه بالزخارف الاجرية الدقيقة التي تقوم من ارتفاع 2م الى السقف , وتعلوه ثلاث قباب اعظمها القبة الوسطية وتحيط بها من الداخل آيات من القران الكريم , تستند هذه القباب على مثلثات منحنية مغطاة بالزخارف الاجرية الجميلة المحفورة حفرا دقيقا , اما العقود الكبيرة الحاملة لهذه القباب فقد زينت بداياتها بالمقرنصات الرائعة الجميلة .

ومحراب الصلاة في هذا المصلى قطعة فنية بارزة تنطق بالدقة والجمال من الداخل وفي هذا المصلى يتلقى طلبة العلم دروسهم ويؤدون فيه الصلاة في اوقاتها , وكان في جبهة المصلى المطلة على الصحن خمسة مداخل اثنان منها في الجانبين يؤديان الى الدرجين المؤديين الى الطابق العلوي , والثلاثة الباقية تودي الى المصلى اوسعها المدخل الاوسط , وكانت تعلوها جميعا آيات من القران الكريم .

ويقابل المصلى في الجهة الثانية من الصحن ايوان ضخم شبيه بأواوين المدرسة المستنصرية عليه كتابات تحيطها الزخارف وعلى جانبيه غرف صغيرة بطابقين لسكنى الطلبة والمدرسين .

وكان الوصول الى الطابق العلوي من غرف المدرسة بواسطة اربعة سلالم في زواياها الاربع كانت تزين واجهاتها زخارف نباتية وهندسية وكتابات .

وفي هذه المدرسة مرقد بانيها تعلوه قبة نصف كروية مدببة قليلا تقوم على عنق طويل مفصص واغلب الظن انها بنيت بعد وفاة مرجان سنة 774ه – 1327م وتتميز هذه القبة مع بناء الضريح بخلوها من التشكيلات الزخرفية من الداخل .

اما داخل المدرسة فيقع في جهتها الغربية وعلى جانبيه غرف بطابقين وهو الجزء الوحيد الباقي من المدرسة التي بناها مرجان اذ هدمت جميعا عام 1366ه -1946م عند فتح شارع الرشيد وشيدت ادارة الاوقاف مكانها مسجدا وعليه ثلاث قباب يختلف طرازها عن طراز القباب الاصلية كما تبدو من الصورة قبل الهدم , ثم اعادت دائرة الاثار والتراث بنائها مرة اخرى .

وواجهة مدخل المدرسة كانت مغطاة بطبقة من الجص مع غيرها من الجدران الداخلية ازالتها دائرة الاثار 1358ه – 1939م وهي شبيهة بواجهة مدخل المدرسة المستنصرية حيث تتكون من عقود مدببة متراجعة تغطيها الزخارف النباتية والهندسية الدقيقة وتعلو الباب كتابة تذكارية بخط الثلث الجميل فوق ارضية من الزخارف النباتية ومحاطة بالزخارف .

والى يسار المدخل تقوم مأذنة بسيطة البناء تكاد تكون خالية من الزخارف وكانت هناك مئذنتان تحفان بهذا المدخل سقطتا قبل بناء المئذنة الحالية , وقد استخدم القليل من الاجر المزجج في زخرفة المئذنة وجوانب قبة المرقد , ويلاحظ المدقق في زخارف المدرسة براعة التصميم والانجاز في ملاء الفراغات على الجدران والعقود والواجهات وهي تقتصر على العناصر النباتية والهندسية والاشرطة الكتابية بعضها محصور داخل اطارات متعدد الاشكال تتضمن آيات قرآنية كريمة ومديح وتبريكات اضافة الى وقفية المدرسة وكلها تغطي مساحة واسعة من الجداران تتضمن ما اوقف على المدرسة من ممتلكات وشروط الوقف واسم الباني وتاريخ البناء , كما ورد اسماء عدد من الخطاطين الذين شاركوا في كتابتها . وكان تسجيل الوقفية بهذا الشكل داخل مصلى المدرسة وسيلة مهمة للمحافظة عليها من العبث والتزوير .

تمتاز المدرسة المرجانية بالقباب التي تحملها فوق المصلى فهى المثال الوحيد في العراق من المدارس ذات المصليات ثلاثية القباب .

كما تمتاز بالمئذنتين التين كانتا تحيطان بالمدخل وهي ظاهرة لم نجدها في شرابية بغداد ( القصر العباسي ) او في المدرسة المستنصرية , ومما تمتاز به هذه المدرسة الضريح الذي انشئ داخلها وهي ظاهرة جديدة لا نجدها في المدارس السابقة.